ان من لا علم عنده بالشكر الا باللسان فشكره انما يكون بالطاعة ويسمي هذا الصنف عالمين
يعني بما علموه وشكر العابدين يكون نوعا من افعالهم يعني بعض طاعاتهم واما من سماهم عارفين
ونسب الشكر اليهم فطايفة انتقلوا عن اعمال الجوارح الى احوال القلوب فشكرهم له
بالاستقامة في عموم احوالهم فحصل من ذلك ان الشكر يكون بالاقوال وبالطاعة من الافعال
وبالاستقامة في عموم الاحوال قال الامام رضي الله عنه وقال ابو بكر الوراق شكر النعمة
مشاهدة المنة وحفظ الحرمة قال الشارح رضي الله عنه وهذا من اسباب الشكر
لان مشاهدة النعمة معرفتها وحفظ الحرمة معرفة قدرها ومنزلتها وعن ذلك يكون
الشكر قال الامام رضي الله عنه وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيليا
قال الشارح رضي الله عنه ومراده ان يضيفها لفاعلها ويتبرا من اضافتها الى نفسك
وهذا يرجع الى الاعتراف بالنعمة واضافتها الى المنعم ويلتحق بما قدمناه ويصح ان يلحق هذا
الكلام بحقيقة الشكر بوجه وهو ان العبد اذا تبرا من النعمة كيف يشكر ويكون شكره
من جملة النعم فيقيم الاقرار بعجزه عن الشكر فانه يرى جميع ما هو فيه نعمة عليه ومن جملتها
الشكر وهو يعجز عن الشكر مطلقا اذ كل شكر يفتقر الى شكر وبهذا الاعتبار قال عليه السلام
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك قال الامام رضي الله عنه وقال الجنيد الشكر
فيه علة لانه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله سبحانه على حظ نفسه قال
الشارح رضي الله عنه وهذا لا يطرد في كل الشاكرين وان كان الحق سبحانه قال لئن شكرتم
لازيدنكم ولا يلزم من كل شاكر ان يكون شكره طلبا للزيادة ويكون شكره على ما تفضل عليه
به خاصة ولا تكون فيه علة له ولا تكون واقفا مع حظ نفسه بهذا الاعتبار ويحتمل ان يكون
واقفا مع حظ نفسه باعتبار اخر وهو انه شكر الحق سبحانه على ما اجراه عليه مما يوافق نفسه
وهواه ولم يصل الى ان يشكر الحق سبحانه على ما يرد منه مطلقا مما يوافق هواه او لم يوافق ويكون عنك
ذلك منه لكمال معرفته بحسن نظر الحق له فيما يجريه عليه فاذا تقرر عنده انه سبحانه انما
يجري عليه ما فيه صلاحه شكره على السراء والضراء والشدة والرخاء ولا يكون واقفا
مع ما يوافق هواه وهو حظ نفسه بل مع ما اجراه عليه مولاه قال الامام رضي الله عنه
وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر قال الشارح رضي الله عنه اشرنا اليه في احد احد
وجهي ما تقدم وذلك ان من راى شكره نعمة عليه قيل له اشكر على هذا الشكر فاذا شكر
عرف انه نعمة ويطالب بالشكر عليها وهذا اما ان يتسلسل ولا نهاية للعبد عليه
واما ان ينقطع عن الشكر بالموت فيكون اخر شكر يعقبه الموت لم يشكر عليه فالعجز لازم له
على كل حال وكذلك قال الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك وهذا انه
قلت وهو يرجع الى احد امرين اما ان يكون المحل لا يحتمل العقل فيه كمعرفة حقيقة

ذات القديم وصفاته واما ان يكون العجز لقدرة عن بعض الممكنات التي لم تقارنها قدرة
العبد كما بين الخلاف قال الامام رضي الله عنه ويقال الشكر على الشكر اتم من الشكر وذلك
بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من اجل النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره
على شكر الشكر الى ما لا يتناهى قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من لا يعرف ان توفيقه
للشكر نعمة لا يشكر عليه فمن راى كونه في عافية نعمة فشكر عليها ولم يعرف ان توفيقه
للشكر نعمة اخرى لا يشكر عليها ومن عرف ذلك شكر عليه فشكره اتم من شكر من لم يعرفه وبهذا
الاعتبار كان الشكر على الشكر اتم من الشكر وهذا يتسلسل وقد قلنا ان نهايته الموت لانه لو توالى
عليه الشكر وشكر لكان اخر شكر يعقبه الموت لم يشكر عليه قال الامام رضي الله عنه وقيل
الشكر اضافة النعم الى موليها بنعت الاستكانة له قال الشارح رضي الله عنه وهذا من الطراز
الاول الذي قلنا ان حقيقة الشكر لم تحقق فيه فان خلاصته الاعتراف بنعمة المنعم مع
التذلل له وهو الاستكانة والشكر الثناء على المنعم بانعامه فافترق الامران ويحتمل ان يريد
به شكر الاعمال اذا قارنته نية الشكر قال الامام رضي الله عنه وقال الجنيد الشكر ان
لا ترى نفسك اهلا للنعمة قال الشارح رضي الله عنه وهذا بالغ فان من لم ير نفسه اهلا
للنعمة لعدم صلاحيته لها وراها فضلا من المنعم بها استحيا من الله ان يكون شكره جزاء
عليها كيف اذا لاحظ شكره نعمة اخرى تحتاج الى الشكر فهو يستحيي من ان يكون شاكرا للنعمة
من نعمه ابدا ولذلك قيل اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر فكيف
بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتسع العمر قال الامام رضي الله عنه وقال رويم
الشكر استفراغ الطاقة قال الشارح رضي الله عنه وفيه نفسه جيد وهو من باب حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فمعناه كمال الشكر استفراغ الطاقة فيه فاذا استفرغت
وسعك في الشكر وعجزت عما لم يخلق لك قدرة عليه اتيت بالممكن والغاية من الشكر قال
الامام رضي الله عنه وقيل الشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر على المفقود
ويقال الشاكر الذي يشكر على الرفد والشكور الذي يشكر على الرد ويقال الشاكر الذي يشكر
على النفع والشكور الذي يشكر على المنع ويقال الشاكر الذي يشكر عند البذل والشكور
الذي يشكر عند المطل قال الشارح رضي الله عنه وهذه الكلمات تدخل تحت سلك واحد
وذلك ان كل من لا يشكر الا على النعم والعوافي لكونه لا يعرف نعمة سوى ذلك فهو شاكر وكل من
ارتفعت درجته حتى راى البلاء والمنع والرد والمطل نعمة من حيث كان اختيار الحق
العالم بمصلحته فراها نعمة شكر عليها فقد تزايد شكره فكان في اول امره شاكرا فلما اعتقد البلاء
نعمة وشكر عليها صار شكورا فان الشكور مبالغة من شاكر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
افلا اكون عبدا شكورا الرواية جميع ما هو فيه من نعم الحق عليه واوقع عبادته شكرا لله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)